

خطبة الإيمان بالكتب من أركان الإيمان ٢٢/٨/١٤٤٦ هـ .

الخطبة الأولى :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ألا وإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار أما بعد فاتقوا الله تعالى أيها المؤمنون حق التقوى . عباد الله ! إن من أركان الإيمان الستة التي ذكرها ربنا في كتابه وجاء ذكرها في حديث جبريل ، الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسله ، ومعنى الإيمان بالكتب: هو التصديق الجازم بأن لله - تعالى - أنزل كُتُباً على رُسُلِهِ عليهم الصلاة والسلام حجةً لهم وهدايةً لأممهم إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

نؤمن بذلك كله إجمالاً بكل الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله، وتفصيلاً بما سماه الله لنا في كتابه . وهذا فرض على كل مسلم ، فمن أنكر كتاباً منها فقد كذب الله وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ١ - ٤] . ، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] قال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا

نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦] وإن من تعظيم الله وإجلاله الإيمان بالكتب التي أنزلها سبحانه على رسله، كما قال تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٣٧﴾) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ [الأنعام: ٩١ - ٩٢]. ومما سماه الله لنا في كتابه من هذه الكتب الزبور، الذي أنزله على نبي الله داود عليه السلام، وصحف إبراهيم عليه السلام، والتوراة التي أنزلت على نبي الله موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على نبي الله عيسى عليه السلام، والقرآن العظيم الذي أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أنزل الله كتباً غير

هذه الخمسة على الأنبياء والرسل، كما قال سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]، فقلوه: (وأنزل معهم الكتاب)، أي (الكتب التي آتى النبيين كلهم) (١). أما مضامينها فإن الزبور فيه ثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد، ودُعَاءٌ وَتَسْبِيحٌ، لَيْسَ فِيهِ حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ، وَلَا فَرَائِضٌ وَلَا حُدُودٌ (٢). وأما التوراة، ففيها أحكام وشرائع وحدود. قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا

(١) تفسير الطبري (٣/١٠٩).

(٢) تفسير الطبري (١٤/٦٢٥). تفسير ابن أبي حاتم (٤/١١١٨، تحت رقم ٦٢٨١).

لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿المائدة: ٤٣ - ٤٤﴾. أما الإنجيل فإنه ليس فيه شريعةٌ مُستقلةٌ، وَلَا فِيهِ الْكَلَامُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَخَلْقِ الْعَالَمِ وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ، بَلْ أَحَاهُمُ عَلَى التَّوْرَةِ فِي أَكْثَرِ الْأُمَرِ؛ وَلَكِنْ أَحَلَّ الْمَسِيحُ بَعْضَ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِحْسَانِ وَالْعَفْوِ عَنِ الظَّالِمِ وَاحْتِمَالِ الْأَذَى، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ لِذَلِكَ... (١). وليس في الإنجيل حُكْمٌ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَلْ عَامَّتُهُ مَوَاعِظُ وَوَصَايَا وَأَخْبَارُ الْمَسِيحِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢). وكل تلك الكتب قد محيت آثارها وزيد فيها وأنقص وحرف فيها وبدل حتى صارت على غير التنزل الأول الذي أنزله الله، لأن علماء أهل الكتاب كانوا كلما أعجبهم شيء

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥ / ٧١ - ٧٣).

(٢) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢ / ٢٥٩). وانظر (٢ / ٦).

وضعه فيها، ثم أنزل الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب العزيز القرآن الكريم أفضل الكتب المنزلة فصار مشتملا على كل الكتب السابقة ومهيمننا عليها وزائدا عليها، فيه توحيد وأحكام وأخبار ومواعظ، قال صلى الله عليه وسلم: (أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطَّوَالَ ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَعِينِ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي، وَفُضِّلْتُ بِالْمِفْصَلِ) (٣)، والمفصل ويسمى أيضا المحكم لقلة المنسوخ فيه، وهو من الحجرات أو من ق إلى آخر القرآن. تكفل الله بحفظه من الزيادة أو النقص أو التحريف والتبديل وتحدى المكذبين أن يأتوا بأقصر سورة من مثله ففعلوا جعله الله مصدقا لما قبله من الكتب ومؤكدا لما كان فيها من توحيد الله والدعوة لعبادته وناسخا لما كان فيها من أحكام وحاويا لكل ما فيها وزائدا عليها ما لم يكن فيها ، جعله الله حجة على الخلق أجمعين

(٣) أخرجه الطبراني وغيره، وحسنه الألباني في بداية السؤل (٥٩).

مؤمنهم وكافرهم وجنهم وإنسهم إلى قيام الساعة ، فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم ما بيننا ، من قال به صدق ومن حكم به عدل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فزاد القرآن على ما قبله من الكتب بأنه معجز، في نظمه ومعناه، ولفظه ومبناه وأحكامه وأخباره، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]. أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فاتقوا الله تعالى أيها المؤمنون حق التقوى . ثم اعلموا - عباد الله - أن للإيمان بالكتب آثارا على العبد المؤمن ، فبه يعظم الله تعالى ويقدره

حق قدره حيث يعلم عناية الله تعالى بخلقه حيث بأن بين لهم في كتبه ما يكون فيه نجاتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، ومنها معرفة حكمة الله في شرائعه حيث شرع لكل قوم ما يصلحهم ويناسب أحوالهم، ومنها معرفة نعمة الله على عباده وشكره على هذه النعمة، حيث أوضح لنا السبيل وأنار لنا الحجة وعلمنا في كتبه ما لم نكن نعلم . أن نعلم أن الوحي المنزل لو انقطع عن الأرض لكان في هذا هلاكهم ودمارهم ، ولذلك لما يأذن الله بقيام الساعة وخراب الأرض وفساد الناس ترفع الآيات من المصاحف وتنسى من الصدور ، عند ذلك تحل النقم وتضطرب الأحوال ويأذن الله بخراب العالم وقيام الساعة على شرار الخلق . فحققوا إيمانكم - عباد الله - بكتب ربكم التي أنزلها الله تعالى على رسله، واستشعروا آثار ذلك في أنفسكم والزموا آخرها وخيرها وأقومها كتاب ربكم القرآن العظيم واعتصموا به وتدبروه فإن فيه شرفكم وعزكم في الدنيا

ونوركم في قبوركم ونجاتكم من هول المطلع والقدوم على الله،
وفقنا الله وإياكم لكل خير وهدانا جميعا إلى صراطه المستقيم. ثم
وصلوا وسلموا رحماني الله وإياكم على المبعوث رحمة للعالمين من
جاءنا بالبينات والهدى وأنار لنا السبيل محمد بن عبد الله صلى
وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وذريته ومن تبعه بإحسان
إلى يوم الدين . اللهم إنا نسألك أن تصلح فساد قلوبنا ، وأن
تعيذنا من الشك والشرك والشقاق والنفاق وسيء الأخلاق،
اللهم وفق ولاية أمورنا لما تحبه وترضاه، ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .